مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 01 / 16 /01/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

أخلاقيات "العيش المشترك" وجدل الثقافات

The ethics of co-existence and the controversy of cultures

د.بن يمينة كريم محمد D. Benyamina Karim Mohamed karimmedb@yahoo.fr	فلسفة	جامعة د.مولاي الطاهر، سعيدة

DOI : 10.46315/1714-010-001-003

تاريخ الإرسال: 05/02/ 2020 تاريخ القبول: 30/05/ 2020 تاريخ النشر:16/ 01/ 2021

ملخص بالعربية:

يُعد **العيش المشترك** سلوكًا إتيقيًا قيّمًا، وفعلاً حضاريًا راقيًا لتحقيق المواطنة الجديدة في زمن العولمة [العالمية المعاصرة] بما توافره استراتيجيات المدينة الذكية والباديات الرحيبة والفضاءات العامة [العمومية]، والمنتديات الافتراضية [التواصلية] أنطولوجيًا وسيكولوجيًا وسوسيولوجيًا وتكنولوجيًا وجيواستراتيجيًا، **فالتعايش** منظومة جماعية فطرية تنسجم فلسفيًا وسياسيًا ودينيًا مع الفاهمة البشرية والطبيعة الإنسانية في ترسيخ أخلاقيات الاختلاف وآليات التنوع قصد إيجاد معابر للتفاهم والتعاون مراعاةً للتعددية الثقافية وللانتماء الهوياتي، بغية تجاوز أزمة الصراع [الصدام] وعقم القصدية [الإرادة] وبؤس التأويلية [الفهم].

كلمات مفتاحية: الأخلاقيات، العيش المشترك، الثقافة، الاختلاف، التعارف، التواصل، التسامح.

Abstract (English):

The Coexistence is a valuable ethical behavior and a sophisticated civilized act to achieve new citizenship in the age of globalization [contemporary global], including the availability of smart city strategies, welcoming gates and public spaces [Common], and virtual forums [communicative] ontological, psychological, sociological, technological and geostrategic, as a socio-cultural coexistence in a collective system. Politically and religiously, with human understanding and human nature in consolidating the ethics of difference and the mechanisms of diversity in order to find crossings for understanding and cooperation in consideration of cultural pluralism and identity affiliation, in order to reach Conflict [clash crisis] and the futility of intentionality [will] and the misery of Interpretative [understanding].

Keywords : *Ethics, Co-existence, Culture, Difference, Knowledge, Communication, Tolerance.*

1- مقدمة:

يُشكل "**العيش المشترك**" استراتيجيةً لمعرفة تمثل الحضارة في التفكير العام، وكذا مقياسًا نمذجيًا للكشف عن سؤالات الأناسة، ومآلات التدين وفهم طبيعة الاستخلاف والحكامة والوعي الراشد، وتَصدر الفلسفة الرشيدة [الشريدة] لتطبيقيات الراهن وممارسات الواقع، وتجاوز تصدع الفكرويات المربكة والمؤدلجة الموغلة في الأحادية والنسقية .. وقصد استنطاق الهامش بكل

شجاعة ومسؤولية وديناميكية، بما يتوافق مع الأخلاق الجمعية، والقيم الكليانية في ترسيم المجتمعات المفتوحة، وحسن التماهي مع الأقليات المقترحة والعرقيات المتاحة.

يَرتكز "**العيش المشترك**" على مجموعة متناغمة من القيم والأخلاقيات تتمثل في: التعارف المستجاب، والتواصل المناسب بما يفيد التفاهم، والتضايف، والتعاون، والتضامن، والتسامح، والاعتراف، والاحترام المتبادل، والتحاور الحجاجي في تجاوز للأزمة التي تفاقمت وتضافرت بسبب غياب تدابير الاتفاق ودرء الفساد وتغيب الذاتية والمصالح الضيقة على حساب الوعي العام، فآلت "**القصدية**" نحو مزيد من النميمة والغتبة والنفعية، وأفول "**التأويل الإيجابي**" لصالح "**بؤس النيات**"، كما تعتبر أطروحات "**تعايش الثقافات**" و"**حوار الأديان**" مناسبة لإعادة النظر في مفاهيم "**المشترك الإنساني**" ومدى تحقق هذا المسعى من خلال الممارسات الفلسفية والتطبيقات الخطابية، وتفعيل دور الفيلسوف [الباحث الحر] قصد الإسهام بوعي وإرادة في مشاريع النهضة والتنوير، ومناقشة منظومة "**العيش**" قبل الحديث عن المعابر والمقاييس والمعايير، والعوائق المؤدية إلى مزيد من الاحتقان بسبب تفشي الفردية، والعنف، والتطرف، والكراهية، والعدائية، والطائفية، والعنصرية، والإيديولوجية، والامتداد التاريخي للنصيات والمقولات، وكذا صدام التأويلات وصراع الأفهومات.

تُسهم إتيقات الإنصاف، وكذا قيمات العدل بين التنوع المشترك والتعدد الثقافي في رصد خطابات "**العنف**" وتتبع تطبيقات "**التعصب**"، بغية إيجاد مسالك التأويل وتطبيق مناهج التفسير والوقوف على أسس الوعي وأصول الفهم من خلال التحليل والنقد ومرافقة الواقع .. ويقتضي هذا الخوض استحضار الاشكاليات الآتية: **كيف نقارب بين النصيات والخطابات المتداولة في مناولة أطروحة "العيش المشترك" فلسفيًا وهل يمكن تحقيق فكرة "التعايش" نفسيًا اجتماعيًا؟ وكيف ننشر الوعي بأهمية "العيش معا" كأسلوب حضاري للقضاء على الكراهية والصدامية؟ هل يمكن للتعددية الثقافية أن تحد من صدام الحضارات وصراع الثقافات؟**

2- الإنسان الحي وإشكالية العيش [الفاهمة البشرية والطبيعة الإنسانية]:

ترتبط لفظة "**العيش**" بموضوعات "**الحياة**" [*Vie*] و"**الوجود**" [*Existence*] و"**الإنسان**" [*Humain*]، إذ لا يمكن الفصل بين حق الإنسان في العيش وبين مسؤولياته نحو العالم والكون باعتباره الحي المفكِر والمفكَر فيه في الوقت ذاته، وقد تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها لأنها تحمل دلالات متقاربة ومعان متجاورة، وما يفرق بينها هي تلك الإضافات التي تجعل المعنى أكثر وضوحًا ودلالةً واختصاصًا، مثل تركيبات: التعايش "**السلمي**" *Pacifique, Paisible* والعيش "**المشترك**"، والمعيش "**الكريم**"، فهي تشكيلات لغوية وتداولية، وشعارات جاهزة تلاصق اليومي وتتصدر

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 01 / 16 /01/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

المشاهد الإخبارية والإشهارية والمحافل التطوعية وكذا الوعظية والتعليمية في مقاربة التركيب **الذاتي** مع الاستعداد **الأجنبي** لتحقيق التناسب الفكري والتناسق النفسي

يَتضمن **العيش** مجموعة الاستعدادات [القوامات] والمرتكزات [القامات]، وتطلق لفظة "**القوام**" *Subsistance* على: «ما به وجود الشّيء وجودًا ماديًا أو معنويًّا» **(الحلو، ع.1994: 165)**، كما يشير "**المشترك**" *Ensemble, Commune* إلى: «مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر... مجموعة كاملة أو مصلحة شاملة أو مجموعة كبيرة محددة وتابعة» **(ريموند، و.2005: 96)**، أما لفظة "**التعايش**" *Coexistence, Cohabitation*، فيراد بها: الجوارية، والتواجدية، وهي عناصر ترتقي إلى مستويات من "**التعاون**" [*Coopération, Collaboration*]، بينما تتخذ كلمة "**المعاش**" *Pension* [*Retraite*] [التقاعد، الانسحاب، الاعتزال ...] ، والتي تحيل إلى العزلة النفسية والرياضة الروحية، وبين "**الإعاشة**" [الوفرة] و"**الإشاعة**" [الرواج]، فالعيش يكون بانفراد أو سويًا، كما يشير "**العَيْشُ**" إلى: «الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة لأنّ الحياة تقال في الحيوان وفي البارئ تعالى وفي الملك ويُشتق منه المعيشة لما يُتعيَّش منه»**(الأصفهاني، ر. دس :353)** ، فالعيش اشتراك في ماهية الحياة ومفهومها بين مختلف المخلوقات لا في طبيعتها وخصائصها، وقد وردت لفظة العيش في النص القرآني بمعنى قسمة الحياة لكل الموجودات، [**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**] (الزخرف: 32)، [**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**] (طه: 124)، [**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**] (الحجر: 20)، [**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**] (الأعراف: 10)، بينما ربط العيش بالرضا في الآخرة [**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**] (الحاقة: 21). و(القارعة:7)، وقال عليه السلام: "**لا عيش إلا عيش الآخرة**" (متفق عليه: أنس -رضي الله عنه-)، فبين معيش الدنيا وعيشة الآخرة يسلك العيش تفضيلاً يجاوز القبول ويجاور الرضا.

تتخذ النفس البشرية من "**العيش**" اشتراكًا بين "**الفاهمة**" و"**الطبيعة**"، ويقصد بالفاهمة ملكة الفهم، فحاجة الإنسان إلى فهم العيش من خلال الحس والوعي والإدراك بحسب **ديفيد هيوم** أنه لا يمكن اعتبار الأخلاق والنقد من مواضيع الفاهمة بل هي طبيعية تخضع للذوق والشعور:«.. فالجمال الخلقي أو الطبيعي، يحسّ أكثر مما يدرك، أما حين نعلّل بخصوصه ونحاول إثبات معايير له، فإننا ننظر إلى واقعة جديدة، مثال الأذواق العامة للبشر، أو واقعة من هذا القبيل يمكن أن تكون موضوع تعليل أو استقصاء .../ حين نطوف في المكتبات مزودين بهذه المبادئ، ماذا علينا أن نتلف؟ - إذا أخذنا بيدنا أي مجلد في اللاهوت أو في الميتافيزيقا المدرسية مثلاً، وتساءلنا: هل يتضمن أي **تعليلات تجريدية** حول الكم والعدد؟ - كلا. هل يتضمن **تعديلات تجريبية** حول وقائع ووجود؟ - كلا. إذن أرمه في النار لأنه لا يمكن أن يتضمن سوى سفسطات وأوهام»**(هيوم، د.2008: 220-221)**، فيدعو **ديفيد هيوم** إلى اعتماد التعليلات والتعديلات في فهم الوجود

وتفسير الواقع، إذ تختلف الفاهمة البشرية عن الطبيعة الإنسانية في رصد تمثلات العيش، فأخلاق العيش إحساس بقيمة الحياة في تجريب [**التعديلات التجريبية**] لجماليات المكان والأشياء، أما هدف الحياة فهو إدراك فضل العيش في تجرده عن الواقع [**التعليلات التجريدية**]، فنظرة الإنسان إلى العيش بمعزل عن التجريد والتجريب يعد بمثابة مغالطة، ويقتضي النقد اعتماد الفاهمة البشرية التي تسهم في نقده للخطابات والقراءات، حينها يفهم الإنسان أن التعليلات والتعديلات والتغييرات طبيعة في الحياة وفي كل معرفة يتخذ لنفسه عيشا ملائما وكريما ومناسبا، لكن **هل يمكن التفكير في معيش مستمد من مسلمات حسابية أو معالم هندسية أو تفاعلات كيميائية وفيزيائية** بمعزل عن أفهومات الميتافيزيقا وإرهاصات اللاهوت؟ إنّ يعد ضربا من الامتناع، فطبيعة الإنسان ترفض الفهم والعيش خارج هذه الأوهام أو أنها تعجز عن ذلك!

يَشتد الاختلاف في فهم طبيعة الأشياء، وبالأخص ما يتعلق منها بحقيقة العيش وحكمة التعايش، فالإنسان المعاصر يعيش "**من أجل ذاته**"، لما يشعر به من حيرة وقلق وضغط وصولا إلى العجز والفشل في مقاومة الواقع والتصدي للبؤس، فيهرع إلى الآخر يصارعه أو يهادنه، باحثا عن السيطرة والسطو والسلطة والهيمنة معتبرا الآخر أجنبيا [الإنسان والطبيعة معا...]، ولأنه لم يعد سيدا فقد غدا «عبد الآلة التي بنتها يداه، وهو بكل معرفته عن المادة جاهل فيما يتصل بأهم مسائل الوجود الإنساني وأكثرها أساسية: من هو الإنسان، وكيف ينبغي أن يعيش، وكيف يمكن إطلاق الطاقات الهائلة فيه واستخدامها بصورة منتجة»**(فروم، إ.2007: 38)**، إذ تحُول الضغوطات، وصعوبات الحياة، والظروف من أن يكون سيدا لكل شيء، وحرا من كل شيء، فهو الذي يقرر العيش ويحدد مع من يعيش؟ وضد من يحارب؟ فلا يتقبل أن يوضع في اختبار مع الحياة ضد الحياة، فالعيش بعيدا عن الآلة وعن الآخر هو بمثابة العيش بلا مشروع.

تتأسس "**البيئة**" طرفًا مهمًا في فهم العيش وتحقيق الاشتراك بين الناس في أفكارهم وأفعالهم وأقوالهم، كما تتدخل "**الأخلاق الاجتماعية**" و"**المسؤولية القانونية**" في الفصل بين "**الحياد**" وبين "**الانقياد**"، فمشكلة العيش المشترك تكمن في التحديد والتعيين [الوصل والفصل]، فنشاطات الإنسان وسلوكياته ليست آلية ولا مبرمجة ولا شرطية، وهي قابلة للخطأ وللظن وللشك وحتى للقصدية المضمرة، ولسوء الفهم، تلك الترجمات والتأويلات التي ترافق هذه التطبيقات تجعل من الفعل الإنساني حقلاً خصبًا من الألغام والألغاز والأوهام، فحين يحمل كل إنسان بيئته في داخله دون الانتباه إلى بقية الطبائع والطبيعيات يصعب عليه بذلك إيجاد معابر للتفاهم والتعاون، فأفعالنا ليست حقيقة في حد ذاتها، بل هي من قبيل التدريب والاختبار، فيبدأ الخلط بين مصالحنا وواجباتنا، «ليس لأننا يجب أن ندخل في اعتبارنا نتائج أفعالنا على مصالح الآخرين ولكن لأن هذه هي الحقيقة. ويدخل الآخرون في اعتباراتهم ما نفعل، ويستجيبون لأفعالنا طبقًا لذلك، ولا

شك أن استجاباتهم تؤثر في الواقع في معنى ما نفعل، وما ينسب لأفعالنا من مغزى لا يمكن تجنبه، مثله في ذلك مثل نتيجة التفاعل مع البيئة المادية»(**ديوي، ج.2015: 329**)، فالصراع بين المصلحة الخاصة والمصالح العامة يحدد جملة من القضايا الأخلاقية والقانونية مثل الضمير والمسؤولية والدافع والرضا... ويعيد صياغة إشكالات لا تزال مثل: **هل المنفعة خير أم شر؟ هل يمكن اعتبار الإنهمام بالذات أنانية تتنافى مع الأخلاق العامة؟** وهنا تظهر اختلافاتنا في فهم "الحقيقة" أو حتى تحديد مفهوم "الوعي"، وتقدير "الواجب"، وتعيين "الحق".

يتأثر الإنسان وفق عوامل البيئة المادية [عالم الأشياء]، والبيئة الروحانية [عالم الاعتقادات]، ويتدخل هذان الأمران في تحديد مفهوم كسب العيش .. بين المسموح والممنوع، بين الحلال والحرام، وبين الممكن والمحال، وكذا في تحديد العلاقات الاجتماعية والعلائق النفسية، وعلى هذا الأساس يتم وضع المعايير الفكرية والتدابير العملية في انتقاء الفضاءات [الجماعات، الغرباء ...] .. والمسافات [الأصدقاء، النشاطات ...] والمساحات [العائلات، العلاقات ...]، فالعيش المشترك بحث في أسباب الخلاف والتفاوت وتعقيب لعلل الوجود والخلق قبل أن يكون مشروعا حدسيا يسبق تشكل الجماعات ومقترحا لبناء العلاقات .. وهنا يكمن الخلل في تعاقب الصراعات وتسابق التصدعات على حساب تداول الفرص والاستفادة من هذا التنوع الطبيعي والإنساني في مد جسور التفاهم والتعاون والعيش أحسن.

3- قيّم العيش المشترك [أخلاقيات الاختلاف وآليات التنوع]:

تقتضي القيّمُ التوسطَ في كل شيء وفق أدبيات الاحترام، والتسامح، والتعارف، والتعايش السلمي [العيش في سلام] بين الأنا [الوجود] والغير [الموجودات]، وبقبول الاختلاف عن طريق التواصل، والاستماع للآخر [الإصغاء]، والمناقشة، والتفاعل، والتفاهم، وبتنشيط الحوارية لا باعتبارها شرطا في التعايش بل منهجا في قراءة الآخر وفهمه، وانتقاء ما يصلح للأنا المُدْرِكة وتجنب ما يفسد الأنا المُدْرَكة، ويمكن اعتبار المعايير الآتية مدخلا إتيقيا لضمان المشاركة حياتيا، وتأكيد جودة العيش معًا:

1/ **التعارف** [*Connaissance*]: يُفيد التعرف *Identifier* في حصول الكشف والاكتشاف والمكاشفة من خلال تحديد الهويات وتعيين الماهيات، ويكتفي فعل التعارف وفق التنظير الغربي على التعيين والتحديد، وليس بالضرورة أن يصل إلى عقد التحالف *Alliance* [الاندماج، الائتلاف، والتداخل...]، لأنّ ذلك يمثل زوالاً لقيم الخصوصية وثقافة الغيرية، أو حتى التعاطف *Sympathie* [التنازل، الامتلاك ...]، بل يمكن الوقوف عند حد الصداقة العابرة، أو اللقاء العام *Rencontre*، أو أن يكون في حدود العلاقة اللائقة *Relation*، بخلاف التعرف القائم على التجسس والتحسس

والمشاحنة والضغينة والحسد والنميمة، وكذا القضاء على هيمنة الذات، فهي أشكال من المعرفة السلبية التي تضر بالتعارف وتسلب أخلاقياته وتعيق تطبيقاته.

يَتطلب "**التعارف**" في فقه المعاملات توافر بيانات كافية ومعلومات أكيدة عن الشخص الذي نتعامل معه، وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالتعارف بين الأمم والشعوب والجماعات البشرية، «والذي من أبعاده أن تتعرف كل أمة وكل حضارة على إمكانات وقدرات وثروات الأمم والحضارات الأخرى، بالإضافة إلى معرفة الظروف والمشاكل والتحديات، وكل ما يتوقف ويترتب عليه التعارف»(**الميلاد، ز.1999: 77**)، وقد يستلزم الأمر الانتقال من التعارف إلى الاعتراف في تمكين العلاقة وتحيين التواصلية.

تستند علاقة التعارف [التبادل] على الاعتراف [التداول] في المحافظة على صمود العيش معا، واستمرار التعايش بين الأطراف.. وتمثل لحظة التعارف بدءا للعيش السلمي، بينما تمثل مرحلة الاعتراف آخر مرحلة للمصادقة والصداقة، كما تعتمد "**فلسفة التعارف**" على الانتقال من الـ"أنا" إلى الـ"أنت"، ومن الـ«نحن»، إلى الـ"أنتم"، من "أعرف نفسك [بنفسك]"، إلى "عرِّف نفسك [لنفسك]"، وكذا "عرِّف بنفسك [لغيرك]"، وصولا إلى "اعرف غيرك [بنفسك]" في تجاوز ابستيمولوجي للعزلة، وتحريك فينومينولوجي للاعتزال، فالتعارف سلطة ناعمة، وسلطان غانم، وأفهوم أبجدي في منظومة المواطنة الجديدة، فلا يكتفي الإنسان بالتواجد مع غيره بمقتضى الفضاءات والمسافات والمساحات بل يسعى إلى التموقع والمغالبة، بل يسعى إلى الاقتراب والتفاهم والتحاور والاتفاق [تجاوز الخلاف].

2/ **التواصل** [*Communication*]: يُشكل **التواصل** [الصلة، المواصلة، الإيصال...] أفضل آلية لتحقيق الاستمرارية والترابط في مواجهة التنافر واستئصال الخصام ودفع الاحتقان والاحتقار والاتهام والانتقاص، ويبدأ بالإصغاء [السماع، والانتباه]، فتزول الظنون وترتفع العداوة، وتتقارب وجهات النظر .. فكرامة الإنسان من قيمة كلامه، فاللسان طبع في الإنسان، وهو أفضل الأعضاء، وهو أقبحها في نشر التضليل والشر والعداء، وتؤدي القطيعة إلى ظهور الخلاف والأحكام، فـ«لا يمر وقت على الإنسان دون أن يحدث تواصل بينه وبين الآخرين وبينه وبين ما في العالم من كائنات وظواهر، تارة يتم هذا التواصل عن طريق الإبصار والسماع وتارة عن طريق اللمس والشم والذوق ... فترتسم في ذهنه صورة هذه الأشياء وترمز على شاشة الذهن البشري، ثم تخزن في الذاكرة إلى حين الحاجة إليها، فالأفراد في تفاعلهم بواسطة سلوكاتهم ومواقفهم ورغباتهم، يبنون علاقات أفقية مع بني جنسهم وعمودية مع كيانات الطبيعة، هذا التفاعل هو ما يطلق عليه التواصل»(**عبد السلام، ع.2012: 38-37**)، فالتواصل ضمن العيش المشترك لا يقتصر على الإنسان وحده، بل وما يحيطه من معالم وعوالم، وهنا تظهر فكرة الوجود في كله ومطلقه، كما أن

التواصل لا ينجز في حيز مغلق إذا لم يتم فيه تبادل الكلمات وتقاسم الأشياء، وتوظيف وتسخير كل الأدوات والآليات تحقيقا لهذا الفعل الوجودي.

وحتى يكون فعل "**التواصل**" منسجمًا ومتناغمًا مع "**العيش المشترك**"، لابد أن يجتهد المتصل بالابتعاد عن السخرية والنرجسية وكل ما يثير حفيظة وكرامة الآخر معتمدا على فضيلة الاستماع والتفضيل الجمالي، وبالانتقال من الاتصال *Contact* إلى التواصل *Communication*، وتؤدي "**اللغة**" بمختلف رموزها وأشكالها دور الوسيط الطبيعي وفعل الكلام اللائق بكل أمانة وأمن لنقل الأفكار وتبادل المقولات، فالعيش المشترك يتطلب حرص كل طرف على إيصال المعلومة السليمة والصحيحة والملائمة إلى الآخر وفي الوقت المناسب، وهنا يمكن الحديث عن كيفيات التواصل [الزمان، المكان ...] وآليات الاتصال [الوسائط، التطبيقات ...]، وأخلاقيات الكلام [الاحترام، التواضع...]، ومثلما تفيد التواصلية في اكتساب اللغة وتطورها اللساني، فإنها في الوقت ذاته تزيد من فرص التعاون الاجتماعي والتضامن بين الناس.

3/ **التسامح** [*Tolérance*]: يُشير "**التسامح**" إلى التساهل *Clémence*، والمسامحة *Amnistie*، والصفح *Le pardon*، والمؤانسة، والتأدب، وغيرها من الصفات الخيرة الصادرة من القلب وتحت سلطة العاطفة وسعة الصدر، وسلطان الحلم، كما يمثل التسامح مناسبة لقبول الآخر كما هو دون اتفاق أو إحراج بين الأطراف، بل هو شعور قائم على التلاؤم [المواءمة] المتبادل -بلا مقايضة- واستعداد للحل بما يرضي الغير تكيفا مع الوضع وتجنبا للصراع والخصومة(**مصلح، ص.1999: 564**). و"**التسامح**": «سلوك الشخص الذي يتحمل بدون أن يحتج أو يتذّمر ما يحصل من انتهاك لحقوقه الشخصية، في حين أنه بإمكانه التصدي وردّ الفعل، والتسامح هو أيضا أن تغضّ السلطة الطرف عن السلوك الذي جرت به العادة والذي يخرج عن القانون الذي هي مطالبة بالسهر على تطبيقه، ويشير هذا اللفظ كذلك إلى السلوك المتمثل في جعل الآخرين أحرارا لكي يبدو آراءهم ويعبّروا عن مواقفهم الشخصية دونما خشية»(**جلال الدين، س.2004: 104-103**)، ويهدف "**التسامح**" إلى التوافق الطبيعي دون اللجوء إلى الاتفاق القانوني والتعاقد الاجتماعي مع الآخر من خلال الاكتشاف، و«الخروج عن دائرة الأنانية والنرجسية وحب الذات، وابتلاعها كل شيء خارجها، الآخر والعالم، الناس والكون؛ فالآخر هو صنو الذات»(**حنفي، ح.2011: 24**)، وقد يكون التسامح مفيدًا أخلاقيًا وإتيقًا وكذا إجتماعيًا ودوليًا، لكنه لا يضمن العدل والإنصاف في الحقوق والواجبات، بل يقف الفعل عند التقدير والتساهل،

يُسهم "**التسامح**" في تشجيع مبادرات "**السلام**" ونشر ثقافات "**المصالحة**" *Réconciliation*، ودعم أخلاقيات "**الخلاص**" *Salut* بما تقتضيه المواطنة الجديدة، خدمة لمصالح الناس وحاجاتهم للعيش المشترك.

4- أزمة العيش المشترك [عقم القصدية وبؤس التأويلية]:

1/ الفردية [هشاشة المشترك]: تَقف "**الفردية**" في غطرستها عثرة دون حصول الفهم العام، وتحقيق التناغم بين الناس، وتتسبب في غلبة المصلحة الضيقة على حساب النفع للجميع، وكذا شيوع الذهنيات الشاذة على خلفية التصورات العدائية، وتفاقم الفكرويات [الأيديولوجيات] في ترصد المبادئ القاعدية والثقافات المطلقة، فالأساس في القيم أن تكون الفردية مكلمة للشموليات ومتممة للكليات، أما أن تصبح تجاوزًا يفسد العلاقات ويدمر كل سعي لإقامة مجتمعات المعرفة ومدن الأخلاقيات، فالصواب أن تعرض على النقدية والمعاتبة.

قد لا تسهب "**الفردية**" كمطلب شخصي وحق إنساني في ضياع "**العيش المشترك**" إذا اعتمدت الوسطية بذكاء، وسلكت الحيادية بوعي، لأنّ «عدم التكافؤ والتلاقي بين القيم [السائدة] ونظم القيم الإنسانية والتعقيد في العالم الحقيقي يجعلان من الصعب أن نعرف كيف يرتبط تصرف ما في الحاضر بنتائج محتملة في المستقبل؛ وهذا يطرح تحديات مباشرة وقاتلة في وجه الاعتقاد بأن التعزيز التكنولوجي لقدرات الإدراك البشرية سوف يرسم نوعًا من المسار المحسن نحو أنسنة أفضل وإنسانية أفضل. إن البشر لا يعيشون حياة غير مرتبطة بالبشر الآخرين، وناتج التعزيز الإنساني للفرد يعتمد على العالم الذي تدخل إليه هذه السمات المعززة لا على التعزيزات نفسها» (**بدران، ر.2013: 149**)، وإذا اعتبرنا "**الفردية**" حقا اجتماعيًا، فالواجب ألا تكون اعتداء على ملكيات الآخرين، وألا تتسبب في ضياع مشاريع التعاون والتضامن بين الناس «وعلى كل منا، إذا أردنا اكتساب فردية كاملة، أن يزرع حقله، على ألا يحيطه بسياج، ولا يجعله حظيرة محددة ومفصولة، فحقلنا من زاوية تماسه مع طريقنا في الحياة، هو العالم. وعندما نقبل بالعالم الصناعي والمتحد المتكتل الذي نعيش فيه، ونحقق بذلك الشرط الأولي في تفاعلنا معه»(**ديوي، ج.1979: 156**)، فالغلو في "**الفردية**" على حساب "**الجماعية**" قد يضر بالعيش المشترك ويتوعد بمستقبل مأهول ومجهول، ينسف بكل العلاقات، ويفسد الأوصال ويربك الأحوال، فلا أمل في فردية تبحث عن حياة مستقلة في الوقت الذي تطالب فيه بصدق الاعتبار وحسن التعبير.

2/ العنف [الإنسان من أجل ذاته]: يؤدي "**العنف**" إلى مزيد العزل والإقصاء، وكثرة الخصومات، واشتداد التناحر، واعتلاء التدميرية البشرية، مثل: العنف البدني أو الرمزي أو حتى العقائدي، فالأمر يتعلق بحرب ضد الآخر، يصرح **المهاتما غاندي** قائلا: «في رأيي المتواضع أن اللاتعاون مع الشر واجب بقدر ما هو واجب التعاون مع الخير، ولكن في ما مضى، كان اللاتعاون يتخذ عن عمد، صورة العنف لإرهاق المسيء الشرير، في حين إني أنفق غاية الجهد لأظهر لأبناء وطني أن اللاتعاون العنيف لا يؤدّي إلا إلى مضاعفة الشر، وأنه لما كان العنف هو السبيل الوحيد إلى تدعيم الشر فإن الوسيلة إلى حرمان الشر دعامتَهُ هي الاستكناف عن اصطناع العنف. إلا

اللاعنف ينطوي على قبول طوعي لعقوبة اللاتعاون مع الشر»**(رامي عطا، ص.2014: 95-96)**، فنجاح الثورة الهندية على يد **غاندي** جاء عن طريق نبذ العنف، ورغم كل القهر الذي كان مسلطًا على الشعب الهندي، لكن ذلك لم يحرمه حرية التفكير، وحقه في التعددية الثقافية، فأكبر عنف إيجابي هو التوقف عن العنف السلبي، فالعيش المشترك لا يولد في بيئة من الموت والشر والحرب المستمرة.

3/ الكراهية [القوة التدميرية]: تُعتبر الكراهية أكبر مهدد لأطروحة "**العيش المشترك**"، وقد تكون هذه الكراهية غير مؤسسة ولا مبررة، فحين نكره غيرنا لأنه يختلف عنا [لا يشبهنا...]، أو لمجرد أن تحول الإكراه إلى كراهية في خضم العلاقات المهنية والمعاملات اليومية، حين يضمر مقولة "أنا أكرهك"، و"أنا خصمك"، و"أنا عدو لك"، فإننا بذلك لم نعد نستطيع "**العيش معا**"،«والواقع أن العدوانية التي تقترن بالكره اقترانًا وثيقًا ليست على الإطلاق تدميرية أو مؤلمة بصورة كلية فيما يخص أهدافها وعملها، والحب؛ الذي ينبعث من الحياة ويرتبط بالرغبة ارتباطًا وثيقًا جدًا، يمكنه أن يكون عداونيًا، بل مدمرًا في تجلياته. فالهدف الأساسي في الحياة، هو العيش والعيش المستساغ»**(ميلاني، ك.1993: 12)**، هذه الوثوقية [اليقينية] التي تبيح الحب مع الكراهية، فحين تحب [تقدس، تتعاطف...] مذهبك بمغالاة وبلا عقلانية، وتكره بإفراط كل مذهب مخالف، فتدميرية الحب تزيد من تدميرية الكراهية، ولإزالة الكراهية بين الثقافات لابد من الاعتراف بالاختلاف، وكذا إعادة النظر في الأصول والمقومات والثوابت، وترتيب الأولويات، وإيجاد معابر بين الديانات والهويات، فلا يعقل أن يدعي كل طرف أنه يملك الحقيقة، وأنّ الحب يحدد على المقاس، فالعيش المشترك تحملٌ وحلمٌ وليس احتمالاً مع وجود الضد، فالذات تكره بلا عقل، ولا تفكر لأنها تحب بنرجسية وتعشق بأنانية.. فلابد من توافر مساحة للشك والمراجعة .. ومسافة للتأمل والمسامحة.

5-خاتمة:

تَتصدر أطروحة "**العيش المشترك**" أهم إشكاليات صراع الحضارات منذ البدء باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وفطرته، وحتى لا تؤول الإشكالية إلى أمثولة "**التعايش المشترط**" القائم على احترام التقاليد والأعراف تحت طائل القوانين والدساتير، والتي تفرض على الفرد الالتزام والحفاظ على الوضع العام في إقصاء تام لفردانيته وخصوصياته ومعتقداته، فإنه لابد من صياغة أطروحات جديدة قابلة للتمثل والتطبيق، تتماشى مع مكتسبات التراث، ومتطلبات الحياة اليومية، ومقاصد الطبيعة الإنسانية، ومقتضيات العالمية.

يُعد "**النقد الذاتي**" مبدءًا مهمًا في إثراء مشروع "**العيش معًا**"، إذ علينا أن نبدأ بأنفسنا بمعزل عن رؤية الآخر على أنه الأجنبي والغريب والعجيب والمخادع واللئيم والكاذب، ومن ثم إعادة النظر

في مفاهيم الألفاظ التي ورثنها عبر تاريخنا الدموي بكل شجاعة وذكاء ومسؤولية مثل: العدو، والمستعمر، والحب، والصداقة، والإنصاف، والعدل، والحرية ... والانتباه إلى التطورات التي رافقت التربية والثقافة والمسؤولية والديمقراطية ... واعتماد أخلاقيات الاعتذار، والتواضع، والطيبة، والستر، والأمانة، والسماحة، والصدق، والصراحة، والرحمة، والعفو، والرفق في خطاباتنا ... ورغم أن الراهن يشهد حضور موضوعات [مشكلات] تصعب من تحقيق العيش المشترك، مثل: التفضيل الجنسي [الالتباس الجنسي]، والخصوصية، ومفهوم الملكية، ومشكلة الأقليات، إلا أن التفكير لا يزال يحايث الأمر، وإذا كان الخطاب الفلسفي المعاصر يعلن "**نهاية العيش المشترك**" [*La fin du vivre-ensemble*]، ويدعو إلى "**العيش المنعزل**" [*Vivre séparé*]، ويؤسس لبراديغم مغاير يتنافر مع فلسفة "الجوار" وثقافة "الحوار" بسبب **الطائفية** *Communautarisme* [*le sectarisme*] و**التعصب** داخل المجتمعات *Les communautés* الغربية المتطورة والمتداخلة والمركبة، ويتطلب ذلك السعي لإيجاد علامات "**المشترك الإنساني**" للحد من الخلاف الواهم بين الناس، وردم فجوات العنصرية والخلاف من أجل عالم أفضل يليق بالإنسان الإتيقي المعاصر.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

6- المصادروالمراجع:

1- الحلو عبده. (1994). **معجم المصطلحات الفلسفية "فرنسي-عربي"**. ط1. لبنان: مكتبة لبنان.

2- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل. تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني. (دس). **المفردات في غريب القرآن**. دط. لبنان: دار المعرفة.

3- الميلاد، زكي. (1999). **المسألة الحضارية "كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟"**. ط1. لبنان:المركز الثقافي العربي.

4- بنعبد العالي، عبد السلام. (2012). **الفلسفة فنًّا للعيش**. ط1. المغرب: دار توبقال للنشر.

5- جلال الدين، سعيد. (2004). **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**. دط. تونس:دار الجنوب للنشر.

6- حنفي، حسن. (2011). "**من التسامح إلى التفاهم -تحليل فينومينولوجي-**". العدد: 31. السنة:09، شتاء. مجلة: التفاهم. عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

7- ديوي، جون. تر: خيري حماد. مر: مروان الجابري. (1979). **الفردية -قديما وحديثا-**. دط. لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

8- ديوي، جون. تر: محمد لبيب النجيحي. تص: محمد مدين. (2015). **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**. دط. مصر: المركز القومي للترجمة، القاهرة.

9- رامي عطا، صديق. (2014). **غاندي رسالة اللاعنف والتسامح**. ط1. لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

10- فروم، إيريك. تر: محمود منقذ الهاشمي.(2007). **الإنسان من أجل ذاته "بحث في سيكولوجية الأخلاق"**. ط1. سورية: منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

11- مصلح، الصالح. (1999). **الشامل "قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية"**. ط1. السعودية: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

12- ميلاني، كلاين وريفيير، جون. تر: وجيه أسعد. (1993). **الحبّ والكراهية**. دط. سوية: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع.

13- هيوم، ديفيد. تر: موسى وهبة. (2008). **مبحث في الفاهمة البشرية**. ط1. لبنان: دار الفارابي.